بين فن التاريخ وفن الحرب

٦ ـ خالد بن الوليـــد*

فى حروب الردة

للفريق طـــه باشا الهـاشمى

رئيس أركان الجيش العراقى

« لقد شهدت مائة زحف أو زهاءها وما فى بدنى شبر إلا وفيه ضربة أو طعنة ، وهأنذا أموت على فراشى كما يموت البعـير ! فلا نامت أعين الجبناء »

خالد بن الوليد

نسبة القبائل : من المفيد أن نذكر نسبة القبائل وقرابة بعضها لبعض . أكثر القبائل التى ارتدت عدنانية تنتسب الى مضر ، ماعدا قبيلة بنى حنيفة فهى من ربيعة

والقبائل العـــدنانية تنسب الى شعبين كبيرين ، وهما : مضر وربيعة

وشعب مضر ينقسم الى ثلاثة أقسام رئيسية فالقسم الأول : قيس ، ومنها غطفان وهوازن وسليم ، وإلى غطفان تنسب فزارة وعبس وذبيان ، والى هوازن تنسب ثقيف

والقسم الثانى قبيلة طابخة ، واليها ينتسب بنو تميم ، والقسم الثالث مدركة ، واليها ينتسب بنو أسد ، ومنها كنانة ، واليها تنتسب قريش

أما شعب ربيعة فاشتهرت منه القبائل الآتية :

عنترة وعبـد قيس وبكر وتغلب وبنو حنيفة وينتسبون الى بكر بن وائل

الموقف قبل الحركات :

التقت فلول غطفان بن فزارة وعبس وذبيان بطليحة بعد انهزامها فى ذى القصة والربذة ، واجتمعت مع بنى أسـد فى بزاخة . وقد مال اليهم فرقتان من طىء وهما جديلة وغوث على ماذكرناه سابقاً ، ولم تترك هاتان الفرقتان حيهما ، بل اجتمعتا فى أكناف جبل سلمى ، أعني بالقرب من موقع طابه فى الجنوب الغربى من قيد

أما الباقى من بني طىء فظل على الحياد بسعى عدى بن حاتم . وأما قبائل بني عامر بن صعصعة وهى فى الشمال الشرقى من جبل شمر — فكانت تراقب مجرى القتال ، وتنتظر عاقبة المعركة لترى رأيها بعد ذلك

أما بنو تميم فلم يوحدوا كلمتهم ، بل كانوا منقسمين على بعضهم . وبينما كانت القبائل المرتدة على هذا النحو من تفرق الشمل واختلاف القصد ، كان خالد بن الوليد على رأس جيش متجانس صقلته الغزوات والحروب وحنكته التجارب ، متأهباً للحركة عند أول أمر يصدره قائده

وكان هذا الجيش قليل العدد ، غير أن كفاية قائده ضمنت له الفوز . وكلما أحرز فوزاً ازدادت قوته بانضمام المحايدين اليه ، لأن الغلبة كانت تأتى لهم ، وقد تم ذلك فعلاً . ويزعم بعض المؤرخين أن قوة جيش خالد كانت تبلغ ثلاثة آلاف مقاتل حين تقدم نحو طليحة . فلما تقدم نحو مسيلمة أصبحت عشرين ألفاً

الحركات :

يقول ابن حبيش نقلاً عن الواقدى أن جيش خالد بدأ بالحركات من ذى القصة فى اليوم السابع والعشرين من الشهر ، وهذا الشهر إما جمادى الآخرة وإما رجب . لأن الرسول توفى فى شهر ربيع الأول ، وأن جيش أسـامة قضى فى حملته شهرين ، وأجل حركته فى الجرف مدة من الزمن ، والمعلوم أن معظم قوة أسامة ألفت جيش خالد ، فتكون المدة التى انقضت من وفاة الرسول الى حين حركة خالد من ذى القصة ثلاثة أشهر على أقل تقدير

فزمن الحركة إما أن يقع فى منتصف شهر سبتمبر ، وإما فى منتصف شهر اكتوبر من سنة ٦٣٢ ب . م

واستعرض أبو بكر جيش المسلمين فى ذى القصة وخطب فى رجاله وأبان لهم الطريقة المثلى التى يجب أن يسيروا عليها ، ولفت نظر خالد الى خطورة الاستطلاع ، وأخذ الحيطة عند الهجوم على أهل اليمامة ، وأن يجرى الحركات على التعاقب ، فلا يبدأ بحركة مالم يظفر بالتى سبقتها ، وأن يستعمل الرمح فى

(*) وهو بحث فنى قيم لا يضطلع بمثله اليوم فيما نعلم غير كاتبه الفاضل . « الرسالة »

مكافحة الرمح ، والسيف في مكافحة السيف ، ثم طلب منه مراعاة المهاجرين والأنصار والرفق بمن معه

وكانت قوة الجيش تتفاوت بين أربعة آلاف وخمسة آلاف ، وكان عدد الأنصار منه يربى على الخمسمائة . وكانت قوة جيش طليحة في بزاخة تزيد على خمسة آلاف ، ومعظمها من بني أسد والباقي من غطفان ، وكان عيينة بن حصن على رأس هذا الباقي .

وكانت فرقتا جديلة وغوث من طيء في أكناف جبل سلمى متأهبتين للالتحاق بطليحة في بزاخة ، وتبلغ قوتهما زهاء ألف مقاتل . وكان بنو تميم على ما نعلم مشغولاً بعضهم ببعض ، فمنهم من التحق بسجاح ومنهم من خالفها . أما بنو حنيفة فكانوا في ديارهم باليمامة معتصمين بجبالهم ، ومعتزين بنبيهم مسيلمة يراقبون الحوادث في نجد

خطة خالد به الوليد

إن الطريق الأقصر الذي ينتهي بجيش المسلمين الى بزاخة هو الطريق الذي يخترق وادي الرمة . وبزاخة واقعة في المنطقة حيث تكون أحياء طيء وأسد قد قرب بعضها من بعض . فكل حركة من ذي القصة على هذا الطريق الأقصر تشجع قبائل طيء على الالتحاق بطليحة في بزاخة . ومن عادة القبائل أنه إذا لم يهدد الخطر حيها توا تتركه وتسرع الى نجدة الأحياء الأخرى متى أغار عليها الأعداء

كذلك درس خالد الموقف وقرر أن يسلك طريقاً يهدد به بلاد طيء ، فاما أن يلجأ أهلها الى الجبال وإما أن يستميلهم الى جانبه ، وإذا ما تقدم رأساً نحو بزاخة يكون قد ترك بلاد طيء الى جانبه الأيمن وخاطر بالهجوم على بزاخة ؛ أما إذا ضمن حياد طيء أو استمالهم الى جانبه فيكون قد هيأ أسباب الفوز على طليحة

والأخبار تدل على أن خالداً صارح أبا بكر بخطته هذه في ذي القصة فأقرها أبو بكر ، وسبق أن قال لخالد : « اعلم أنك إذا قاتلت أسداً وغطفان فان رجالا منهم معك ينتظرون النصر ، وإذا ما رأوه حليفك كانوا معك على عدوك »

ولكي يجعل العدو يقنع بأن المسلمين قاصدون بلاد طيء قبل بزاخة ، يقول ابن الكلبي إن أبا بكر أمر خالداً أن يصمد لطليحة وعيينة بن حصن وهما على بزاخة ، ولمظهر أنه ملاق خالداً بمن معه من نحو خيبر مكيدة ، وقد أرعب مع خالد الناس ، ولكنه أراد أن يبلغ ذلك العدو فيرعبه ثم رجع أبو بكر الى المدينة

ثم هناك خبر آخر مفاده أن أبا بكر أمر خالداً أن يبدأ بطيء على الأكناف ، ثم يكون وجهه الى بزاخة ثم يثلث بالبطاح (بني تميم) وأظهر أنه خارج الى خيبر منصب عليه منها حتى يلاقي خالداً بالأكناف ، أكناف سلمى ، فخرج خالد فازور عن بزاخة وجنح الى أجأ وأظهر أنه خارج الى خيبر ثم منصب على طيء

فهذه الأخبار تريك الخطة بوضوح . إن بلاد طيء جبلية ، وفيها سلسلتان وعرتان ممتدتان على موازاة خط الحركات بين المدينة وبلاد بني أسد ، وسلسلة سلمى وجبل رمان في الجنوب ، وسلسلة أجأ في الشمال . والأكناف الواردة في الجنوب المذكورة هي أكناف هذه الجبال . أما أهل البلاد فمنهم من تأهب لمعونة طليحة ومنهم من بقي في أرضه يتربص ، وكان أعظم رئيس في القسم الأخير عدي بن حاتم مع قبائل طيء ؛ ومن الأخبار ما يؤيد أن أبا بكر بعث عدياً الى طيء قبل حركة خالد ليدركهم

والواضح أن خالداً بخطته هذه أراد أن يسهل خطة عدي بن حاتم ، وأن إشاعة أبي بكر في الجيش مسيره نحو خيبر يقصد الحركة نحو بلاد طيء ، مما يجعل القسم المتحفز لمعونة طليحة من طيء يرجع الى أرضه للدفاع عنها أو للبقاء على الحياد مع الباقين من طيء

والحقيقة أنها خطة ناجحة تدل على بعد نظر خالد في قيادة الجيش . والخطة تجمع بين الناحية السياسية والناحية العسكرية . وكان عيينة بن حصن الفزاري رئيس بني فزارة كما سبق يسعى لاعادة الحلف الجاهلي بين بني أسد وبني غطفان وطيء محرضاً جماعته على ذلك بقوله « والله لأن نتبع نبياً من الحلفين أحب الينا من أن نتبع نبياً من قريش »

وإذا ما تم هذا الحلف يكون أمام المسلمين قوة كبيرة يصعب التغلب عليها . وينحصر التدبير السياسي في إيفاد أحد رؤساء طيء البارزين لاقناع القبائل بأن يتركوا جانب طليحة ويميلوا الى جانب المسلمين ، ولتسهيل هذه المهمة والقيام بحركة إغفال بالتظاهر بالهجوم على بلاد طيء

وكان التدبير العسكري يرمي الى فصل طيء عن بني أسد

وغطفان ، والهجوم بعد ذلك على قواتهم فى بزاخة

فتناولت الخطة اذن الأمور التالية : —

١ — القيام بحركة إغفال من المدينة فى اتجاه خيبر بقصد اقناع طيئ أن المسلمين متوجهون نحو بلادهم

٢ — تقدم جيش خالد على الطريق الأقصر نحو بزاخة لتظل قوات طليحة فى محلها حتى لا تساعد طيئا

٣ — ترك هدف بزاخة فى منتصف الطريق والانعطاف نحو بلاد طيئ لأرغام قبائل طيئ على الالتحاق بالمسلمين قبل أن ينجدها طليحة

٤ — بعد الوثوق من التجاء (دخالة) طيئ ، والاستفادة من قواتهم ، التقدم بجميع القوات نحو بزاخة لضرب جيش طليحة

الحركة :

وبعد عودة أبى بكر الى المدينة وإشاعة خبر مسيره من المدينة بالباقى من المسلمين نحو خيبر نظم خالد قواته وجعل على كل قسم منها قائداً ، وكان ثابت ابن قيس على الأنصار

وتحرك خالد من ذى القصة فى منتصف شهر أيلول « سبتمبر » أو شهر تشرين الأول « اكتوبر » سنة ٦٢٢ ماراً بربذة ووادى الركبة ، ومنحدراً الى وادى الرمة ، وقبل أن يصل الى منتصف الطريق مال الى اليسار يريد بلاد طيئ ، ولقد نجحت حركة الاغفال التى أشاعها أبو بكر لأن طيئاً التى كانت تستهزىء بالخليفة وتكنيه بأبى الفصيل صارت تخشى بأسه لما سمعت خبر تقدم جيشه نحوها ، فأقنع عدى بن حاتم قبيلته وحذرها سوء العاقبة قائلاً لبنى قومه : « لقد أتاكم قوم ليبيحن حريمكم » . فطلبوا منه أن يؤخر تقدم جيش خالد حتى يسترجعوا من لحق بطليحة فى بزاخة ، وهم جديلة وغوث وآخرون

وكانوا يعلمون أنهم إذا خالفوا طليحة بينما بنو جديلة وبنو غوث فى بزاخة يبقيهم عنده رهائن ويجبر طيئاً على الالتحاق به ، وكانت حجتهم عند طليحة طلب إخوانهم من بزاخة ، لأن خالداً قادم نحوهم فهم يريدون أن يستنجدوا بهم للدفاع عن بلادهم قبل أن يصل جيش المسلمين

وخرج عدى الى خالد ولاقاه فى السمح ، فطلب منه أن يبقى فيها مدة قصيرة حتى يتخلى من فى بزاخة عن طليحة ويعود الى بلاده ، فوقف خالد فى السمح ، فتفرقت غوث من بزاخة وعادت الى بلادها ، فأراد خالد أن يتقدم الى الأنسر ليلجىء جديلة الى ترك طليحة أيضاً ، بيد أن عدياً طلب منه أن يتريث حتى لا يفسد عليه ما دبره . فعادت جديلة أيضاً الى بلادها . وهكذا تم لخالد ما أراده ، فانفصلت طيئ تماماً عن المرتدين وجددت إسلامها وأمدت خالداً بألف مقاتل

وهكذا طبق القسم الأول من الخطة

يتبع

لط الهاشمى

كستور الشـــتاء.

شركة مصر للغزل والنسج

تتشرف بأن تعلن حضرات مواطنيها الكرام أنها أنتجت من القطن المصرى الخالص

كستوراً فاخراً
لموسم الشتاء القادم

اطلبوا بالحاح من

التجار الذين تعاملونهم بتقديم كستور الشركة أولا . وأصنافه هى :

(١) الكستور الفاخر « أبيض » (٢) كستور النيل « مقلم »

(٣) كستور فانله « مقلم » (٤) كستور بيكه منقوش « أبيض »